فضل الفقر

لفضيلة الشيخ العلامة :

محمّد ناصر الدّين الألباني

رحمه اللّه تعالى

شرح لأحاديث من باب التوبة والزهد من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري

إنّ الحمد للّه نحمده ونستعينه ونستغفره ،

ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا ،

من يهده اللّه فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له ،

وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّه حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللّه الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّه وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللّه وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

أمّا بَعْدُ :

فَإِنَّ خيرَ الكلام كلامُ اللّه ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْىُ محمّد ـ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ، وكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النّار .

[١٥] وعن عبد اللّه بن عمرو ـ رضي اللّه عنهما ـ قال : كنت عند رسول ـ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ـ يوما فطلعت الشّمس فقال : « يأتي قوم يوم القيامة نورهم كنور الشّمس » قال أبو بكر : نحن هم يا رسول اللّه ؟ قال : « لا ولكم خير كثير ولكنّهم الفقراء المهاجرون الذين يحشرون من أقطار الأرض » فذكر الحديث ، رواه أحمد والطبراني وزاد : ثمّ قال : « طوبى للغرباء » قيل : من الغرباء ؟ قال : « أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممّن يطيعهم » وأحد إسنادي الطبراني رواته رواة الصحيح .

[١٦] وعن أبي الصّديق النّاجي عن بعض أصحاب النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ أنّه قال : « يدخل فقراء المؤمنين الجنّة قبل الأغنياء بأربعمائة عام » قال : فقلت : إنّ الحسن يذكر أربعين عاما فقال : عن أصحاب النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم : « أربعمائة عام حتّى يقول المؤمن الغني يا ليتني كنت عيلا » قال : قلت يا رسول اللّه : سمّهم لنا بأسمائهم ، قال: « هم الذين إذا كان مكروه بعثوا إليه ، وإذا كان نعيم بعث إليه سواهم وهم الذين يحجبون عن الأبواب »

رواه أحمد من رواية زيد بن الحواري عنه .

كان درسنا الماضي في التّعليق على الحديث الخامس عشر ؛ وهو حديث الغرباء الّذي قال فيه رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم : « طوبى للغرباء » قيل : ومن الغرباء ؟ قال : « أناس صالحون قليل في ناس سوء كثيرٍ ، من يعصيهم أكثر ممّن يطيعهم » .

والآن نتلوا ما يتيسّر لنا في هٰذه الأمسية من الأحاديث الثّابتة على شرطنا المعروف ، ولذلك نقول : إنّ الحديث الَّذي يلي الحديث السّابق ـ وهو الحديث السّادس عشر ، وهو قوله : (عن أبي الصّديق النَّاجي ...) فهو حديثٌ ضعيفٌ ، فمن كانت نسخته من التّرغيب معه فليُعلِّم على هٰذا الحديث بالضّعف .

[١٧] وعن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم :

« يدخل فقراء المسلمين الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام »

رواه التّرمذي وابن حبان في صحيحه وقال التّرمذي : حديث حسن صحيح

قال الحافظ : ورواته محتجّ بهم في الصّحيح ، ورواه ابن ماجه بزيادة من حديث موسى بن عبيدة عن عبد اللّه بن دينار عن عبد اللّه بن عمر .

أمّا الحديث الذي بعده ـ وهو السّابع عشر ـ فهو حديث صحيح ، وهو قوله : (وعن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم : «يدخل فقراء المسلمين الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمِائة عام » رواه التّرمذي وابن حبّان في صحيحه ، وقال التّرمذي : حديث حسن صحيح ، قال الحافظ : ورواته محتجّ بهم في الصّحيح ، ورواه ابن ماجه بزيادة من حديث موسى بن عبيدة عن عبد اللّه بن دينار عن عبد اللّه بن عمر ـ رضي اللّه عنهما) :

هٰذه الجملة قد سبقت في حديثٍ مضى في الدّرس الماضي ، وهو واضحٌ وليس في حاجة إلى أيّ تعليقٍ ، غايةُ ما في الأمر أنَّه ممّا يحسن التّذكير به : أنَّ سبب دخول الفقراء قبل الأغنياء الجنّة بـخمسمِائة عامٍ ، ذلك لما سبق ـ وسيأتي في بعض الأحاديث ـ من أنَّهم لم يكتسبوا أعمالاً هم بحاجةٍ إلى أن يقفوا للحساب والمناقشة يوم القيامة [عليها] ، ولذلك فهم خِفافٌ يسبقون الأغنياء بدخول الجنّة بـأربعين عاما [١] ، وأريد من هٰذا أنّ الحديث لا يعني تفضيل الفقراء على الأغنياء بسبب هٰذا الدّخول ، فقد يتقدّم الفقير على الغنيّ بالدّخول إلى الجنّة ، ولكن مع ذلك

---

[١] لعلّ الشيخ رحمه اللّه يقصد خمسمائة عام .

إذا دخل الغنيَ بعد ذلك قد يكون مقامُه ودرجتُه في الجنّة أعلى من مقام الفقير ، ذلك لقول اللّه ـ عزَّ وجلّ : ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُواْ ﴾[الأنعام ١٣٢] ، فإذا كانت حسنات الفقير أكثر من الغنيَ ، فهو كما يتقدّمه بالدّخول إلى الجنّة ، أيضا يسبقه بالعلوّ بالدّرجات في الجنّة ، أمّا إذا كان العكس من ذلك ، أي إذا كان الغنيَ أكثر حسنات وثوابا من الفقير ، فهو وإن تأخّر عن الفقير دخولاً فهو يرتقي حينما يدخل إلى الجنّة على الفقير درجات .

وهٰذا يذكّرنا بمسألةٍ معروفةٍ عند الفقهاء وهي أنّهم اعتادوا أن يتساءلوا : هل الفقير أفضل عند اللّه ـ عزَّ وجلّ ـ من الغنيَ أم العكس ؟ فمنهم من قال : الفقير أفضل عند اللّه ـ عزَّ وجلّ ـ من الغنيَ ومنهم من عكس ، ولا شكّ أنَّ هٰذا الخلاف إنَّما هو قائم على تقييد الفقير بالفقير الصّابر وتقييد الغنيَ بالغنيَ الشّاكر ، وليس مطلقُ فقيرٍ ولا مطلقُ غنيَ ، لأنَّ كثيرا من الفقراء يصدق فيهم أنَّهم قد يدخلون النّار ، ولا يسبقون الأغنياء دخولا ، كما تضمّن هٰذا الحديث وغيره ، ذلك لأنَّهم لم يصبروا على فقرهم بل دائما هم متضجّرون ومعترضون على قضاء اللّه ـ عزَّ وجلّ ـ وتقديره ، وقد جاءت هناك أحاديث غير صحيحة تذكر أنَّ الفقرَ كفرٌ[٢]، ولكن هٰذا مع أنَّه لم يصحّ ففي كثير من الأحيان ـ كما نلمسه في كثير من الفقراء ـ نجد أنَّ هٰذا المعنى يتحقّق على بعض الفقراء الذين لا يرضون بقضاء اللّه ـ عزَّ وجلّ ـ وقدره عليهم ، ومقابل هؤلاء الفقراء بعض الأغنياء الذين يغلب عليهم التجبّر والتّكبر والإسراف في الأموال وإضاعتها ووضعها في غير ما أحلّ اللّه لهم ، فليس هٰذا الجنس من الفقراء ولا ذاك الجنس من الأغنياء هم الذين جرى الخلاف بين الفقهاء في تفضيل هؤلاء على هؤلاء أو العكس ، وإنَّما

---

[٢] أخرجه العقيلي في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة [٤٠٨٠] وفي غيرها .

البحث أو المفاضلة إنَّما هي بين الفقير الصّابر والغنيَ الشّاكر ، هٰهنا مناط الاختلاف ، فأيّهما أفضل ؟

نجد اختلافا كثيرا جدًّا ، فمنهم ومنهم ، أي منهم من يفضّل الفقير الصّابر على الغنيَ الشّاكر ومنهم من يعكس فيقول : بل الغنيَ الشّاكر أفضل عند اللّه من الفقير الصّابر ، ولكلٍّ من الفريقين حجّته ، ولكنِ الحقيقة هو ما فصل به النّزاع الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللّه ـ فقد جاء بالكلام الفصل بين الفريقين ، بحيث أنَّه لا مجال للردِّ عليه مطلقا ، فقال كلمة حقٍّ وفصلٍ ـ كما ذكرنا ـ قال : أفضلهما عند اللّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ أكثرهما عملا صالحا " [٣] ، وهٰذه هي الحقيقة ، لأنَّ القضيّة لا يمكن المفاضلة [فيها] بمجرد : فقير صبر أو غني شكر ! لا يمكن المفاضلة بين هٰذا وهٰذا، لماذا ؟ .. لأنَّ هٰذا الفقير الذي صبر ربّما لم يقترن مع صبره شيء من الأعمال الفاضلة التّي بها يرتقي بالدرجات عند اللّه ـ تبارك وتعالى ـ بينما يكون الغنيَ الذي يقابله غنيّا شاكراً وأتى بأعمال صالحة كثيرة ، بالإضافة إلى الصّدقات التّي عدمها الفقير بسبب فقره ، فهو إذن ينبغي أن يُنظر في القضية في مجموع ما حصل عليه كلٌّ من الفقير والغنيَ من الصّدقات والمبرّات والطّاعات والقُربات ، فنحن مثلا نجد حديث أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ الذي رواه الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما أنَّ الفقراء بعثوا من طرفهم رسولا منهم إلى النّبيَ ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ فقال هٰذا عن لسانهم : يا رسول اللّه ذهب أهل الدّثور بالأجور [الدّثور : الأموال] يصلّون كما نصلّي ، ويصومون كما نصوم ، ويحجّون كما نحجّ ويتصدّقون ولا نتصدّق ، فقال لهم ـ عليه الصّلاة والسّلام : « أفلا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه سبقتم من قبلكم ، ولم يدركُكُم من بعدكم ، إلّا من فعل مثلكم؟ ... تسبّحون اللّه دُبُر كلّ صلاة ثلاثًا وثلاثين وتحمدون اللّه ثلاثًا وثلاثين وتكبّرون اللّه ثلاثا ثلاثين » أو قال : « أربعا

---

[٣] مجموع الفتاوى (٢٢/١١) وعبارته رحمه اللّه : « أفضلهما أتقاهما » .

وثلاثين »[٤] في هذا الحديث ، وفي الحديث الآخر: « ثلاثا وثلاثين وتمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له » إلى آخره .

ففرح بذلك الفقراء وعاد رسولهم إليهم يُبشّرهم ، فسُرّوا كثيرا ، ولكن لم يلبثوا إلّا قليلا حتّى عاد رسولهم إلى النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فقال : يا رسول الله سمع الأغنياء بما قلت لنا ففعلوا كما فعلنا فقال ـ عليه الصّلاة والسّلام : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »[٥].

ففي هٰذا الحديث إشارة إلى ما فصل فيه الخلاف الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث قال : أفضلهم أكثرهم عملا صالحا ، فإذا كان هٰذا الغنيّ بالإضافة إلى صدقاته المادّية التي لم يجدها الفقير قد أتى بصدقات معنويّة كما قال ـ عليه السّلام ـ في الحديث الآخر للفقراء أيضا : « إنَّ لكم بكلّ تكبيرة صدقة وبكلّ تحميدة صدقة » إلى آخر الحديث[٦] ، فزاد الأغنياء بصدقات معنوية على صدقاتهم المادية ، فتفوّقوا بذلك على الفقراء ، فقال ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ مشيراً إلى أنّه من جمع بين الصّدقتين المادّيّة والمعنويّة أنّه : « فضل الله يؤتيه من يشاء » .

فإذن ، ما يدرينا نحن أنَّ هٰذا الفقير هو أفضل عند الله من هٰذا الغنيّ أو هٰذا الغنيّ هو الأفضل عند الله من هٰذا الفقير؟ .. ما ندري ! وإنّما الحقّ : أفضلهم أكثرهم عملا صالحا عند الله ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ وينبغي أن يُضاف إلى هٰذا أنَّ ممّا يجعل المسألة دقيقة لا تسمح هٰذه الدّقة بتفضيل الغنيّ أو الفقير ، هو أنَّ العمل الواحد يصدر من شخصين متباينين يوزنان عند الله ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ بتفاضلٍ كبيرٍ جدًّا ، ومن الأدلّة على ذلك قول الرّسول ـ عليه الصّلاة والسّلام : « سبق درهم مائة درهم » ، « سبق درهم ـ يعني في الفضيلة ـ مائة درهم »

---

[٤] هذان اللفظة ليست في هذه القصة بل هي في أذكار النوم والله أعلم .

[٥] متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[٦] رواه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

قالوا : كيف ذلك يا رسول اللّه ؟! .. قال : « هٰذا غني أخذ من عرض ماله مائة درهم فتصدّق به ، وهٰذا رجل فقير ليس عند إلّا درهم ، فتصدّق به »[٧] ، فهٰذا الدّرهم سبق مائة درهم ، وهٰذا واضحُ المسابقةِ ، لأنّ هٰذا جاد بما عنده ، فكان جهاده لنفسه في إخراجه للصّدقة أعظم وأكبر واقعا وعند اللّه ـ عزَّ وجلّ ـ من جهاد ذلك الغنيِ الذي أخرج من عرض ماله مائة درهم ، ولم يحسّ بذلك إطلاقا (والثّواب ـ كما نعلم ـ على قدر المشقّة) .

فإذن ، هٰذا الحديث « سبق درهم مائة درهم » ، يدلّنا أنّ القضيّة ليست بمسابقة عدديّة ، فهٰذا تصدّق بمائة ! فهو أكثر من ذاك الذي تصدّق بدرهم ، لكنِ الحقيقة في ميزان اللّه ـ عزَّ وجلّ ـ تبيّنت أنَّ الدّرهم الواحد سبق مائة درهم ، فما يدرينا أن يكون هناك رجل فقير تصدَّق بقليل من ماله ففاقت فضيلة صدقته الكثير من مال الغنيِ ، لكن ما يدرينا بالمقابل أنَّ هٰذا الغنيَ أتى بأعمال ومبرّات وطاعات من غير الأمور المادّية مع أنّ الفقير لم يأتي بها .

إذن ، كلمة الفصل بأن لا يقال : الفقير الصّابر أفضل عند اللّه من الغنيِ الشّاكر أو الغنيِ الشّاكر أفضل عند اللّه من الفقير الصّابر ، وإنّما أفضلهما أكثرهما عملا صالحا عند ـ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ ـ وميزانه ـ عزَّ وجلّ :﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨] .

إذن ، أسبقية دخول الفقراء إلى الجنّة على الأغنياء بأربعين عاما ، لا يعني أنّهم في الجنّة أعلى مقاما من الأغنياء ، وإنَّما هٰذا العلوّ بالنّسبة لما قدّم كلّ من الفقير والغنيِ من أعمال صالحة ، سواء كانت عبادة أو كانت صدقة أو غير ذلك من الأعمال ، هٰذا الذي رأيته تعليقا على هٰذا الحديث الصحيح .

---

[٧] أخرجه النسائي وغيره من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه بلفظ « سبق درهم مائة ألف درهم » وحسّنه الألباني في تخريج أحاديث مشكلة الفقر وفي غيره .

وممّا يوضح أنّ سبب أسبقية الفقراء الأغنياء دخولا في الجنّة الحديث الآتي وهو حديث صحيح قال : (وعن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ قال : قال رسول اللّه : « التقى مؤمنان على باب الجنّة ، مؤمن غنيَ ومؤمن فقير كانا في الدّنيا ـ أي متعارفين متصادقين متحابّين ـ فأدخل الفقير الجنّة وحُبس الغنيَ ما شاء اللّه أن يحبس ثمَّ أدخل الجنّة، فلقيه الفقير فقال : يا أخي ـ أي الفقير يخاطب الغنيَ حينما لقيه ـ ماذا حبسك ؟ واللّه لقد حُبِستَ حتَّى خِفْتُ عليك ـ يعني أن يكون أُخذ به والعياذ باللّه إلى الجحيم ـ فيقول : يا أخي إنِّي حُبست بعدك محبسا فضيعا كريها ، وما وصلتُ إليك حتى سال مِنِّي من العرق ما لو ورَده ألفُ بعير كُلها آكلة حَمضِ النّبات لصدرت عنه رواءَ ») ، ما معنى هٰذا الحديث ؟ .. من طول مقام هٰذا الغنيَ في الحساب ، أصابه عرق كثيرٌ وكثيرٌ جدًّا ونسبة الكثرة بحيث أنَّه لو ورد ألف بعير على هٰذا العرق للارتواء وهي عطشى لخرج الألف بعير رِواءَ ، يعني مرتوية كلّها من هٰذا العرق الذي سال من هٰذا الرّجل الغنيَ لشدّة الحساب الذي وقع عليه .

هٰذا هو سبب دخول الفقراء قبل الأغنياء الجنّة بخمسمائة عام وهٰذا الحديث يقول المصنف : (رواه أحمد بإسناد جيّد قوي) وهو كما قال .

« الحمض » تفسير الحمض : ما ملُح ومرّ من النّبات ، وهٰذا كناية على أنَّ الحيوان إذا أكل شيئا من هٰذه النّباتات الحامضة أو المالحة يزداد جوعا وعطشا ، فهٰذا الجنس من الحيوان لو كان عدده ألفا فشرب من عرق ذلك الغنيَ الذي تصبّب من بدنه بسبب طول مكثه في الحساب لارتوت هٰذه الإبل كُلّها !!

إذن ، مسؤولية المحاسبة للأغنياء يوم القيامة على طريقة جمعهم للأموال مسؤولية هامّة جدًّا لأنَّه قد ينجو أخيرا ويدخل الجنّة ويلتقي مع صاحبه الفقير ، كما صرّح به هٰذا الحديث ولكن

بعد ماذا ؟.. بعد ذاك المقام الطويل والعرق الكثير الّذي يتصبّب منه ، هٰذا إذا كان كسبَه حلالا!

وهٰذه المسألة فيها نظر فإنَّ أكثر الأغنياء لاسيما في زماننا هٰذا كسبهم لا يخلو من ارتكاب المحرم وشره الربا ، لذلك يأتي الحديث الّذي جاءنا في أول هٰذا الفصل ، أنَّ بين أيدينا عقبة كأدى لا يجوزها إلّا المخفّفون ، يعني ما عليهم حساب فهؤلاء يمرّون سريعا ، أمّا الأغنياء فمن كان منهم صالحا فلا بدّ من هٰذا الحساب الدّقيق حتى يتصبّب منه العرق ، ثمَّ يدخل الجنّة ، أمّا إن كان كسبه حراما فالعياذ باللّه تعالى .

ومن ذلك : قال ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ في الحديث الصّحيح : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتَّى يُسأل عن خمس » ، وذكر ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ « وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ » [٨] ، فعليه سؤالان اثنان ليس فقط من أين اكتسبه ؟ بل و فيما أنفقه ؟

وكثير من الأغنياء ، قد تكون طريقة كسبهم للمال حلالا ، ولكن طريقة صرفهم لمالهم هٰذا ليست حلالا ، لأنَّهم يصرفونه فيما حرّم اللّه ، مثلا : ممّا ابتلي به النَّاس اليوم كثيرا من دخول السينمايات ، أو لم يعودوا بحاجة إلى دخول السّينمايات فقد دخلت السّينمايات بواسطة التّلفزيون إلى بيوت هؤلاء الأغنياء ، فيسهرون اللّيل الطويل كبارا وصغارا رجالا ونساء يسهرون على التّلفزيون الّذي لا يرون فيه إلّا ما حرّم اللّه ، وأخيرا يُفَوّتُون على أنفسهم ليس صلاة الفجر مع الجماعة فقط ، بل وبغير جماعة حيث لا يستطيعون أن يستيقظوا لصلاة الفجر إلّا بعد طلوع الشّمس ، فهؤلاء يُسألون كيف صرفوا هٰذه الأموال؟ ولو كانوا اكتسبوها بطريق مشروع حلال .

---

[٨] رواه التّرمذي وغيره من حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه وهو في السلسلة الصحيحة برقم [٩٤٦] .

[١٩] وعن عبد اللّه بن أبي أوفى ـ رضي اللّه عنهما ـ قال خرج رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ على أصحابه أجمع ما كانوا فقال : « إنّي رأيت اللّيلة منازلكم في الجنّة وقرب منازلكم » ثمّ إنّ رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ أقبل على أبي بكر ـ رضي اللّه عنه ـ فقال : « يا أبا بكر إنّي لأعرف رجلا ؛ أعرف اسمه واسم أبيه وأمّه لا يأتي بابا من أبواب الجنّة إلا قالوا مرحبا مرحبا » فقال : سلمان إنّ هذا المرتفع شأنه يا رسول اللّه قال : « فهو أبو بكر بن أبي قحافة » ثمّ أقبل على عمر ـ رضي اللّه عنه ـ فقال : « يا عمر لقد رأيت في الجنّة قصرا من درّة بيضاء لؤلؤه أبيض مشيّد بالياقوت فقلت : لمن هذا فقيل لفتى من قريش ، فظننت أنّه لي فذهبت لأدخله فقال : يا محمد هذا لعمر بن الخطاب فما منعني من دخوله إلّا غيرتك يا أبا حفص » فبكى عمر وقال : بأبي وأمي عليك أغار يا رسول اللّه ؟ ثمّ أقبل على عثمان ـ رضي اللّه عنه ـ فقال : « يا عثمان إنّ لكلّ نبيّ رفيقا في الجنّة وأنت رفيقي في الجنّة » ثمّ أخذ بيد علي ـ رضي اللّه عنه ـ فقال : « يا علي أوَ ما ترضى أن يكون منزلك في الجنّة مقابل منزلي ؟ » ثمّ أقبل على طلحة والزّبير ـ رضي اللّه عنهما ـ فقال : « يا طلحة ويا زبير إنّ لكلّ نبيّ حواريّ وأنتما حواريي » ثمّ أقبل على عبد الرحمن بن عوف ـ رضي اللّه عنه ـ فقال : « لقد بطأ بك عنّا من بين أصحابي حتى خشيت أن تكون هلكت وعرقت عرقا شديدا ، فقلت : ما بطأ بك فقلت : يا رسول اللّه من كثرة مالي ما زلت موقوفا محاسبا أسأل عن مالي من أين اكتسبته؟ وفيما أنفقته؟ » فبكى عبد الرحمن وقال : يا رسول اللّه هذه مائة راحلة جاءتني الليلة من تجارة مصر فإني أشهدك أنّها على فقراء أهل المدينة وأيتامهم

لعلّ اللّه يخفّف عنّي ذلك اليوم . رواه البزّار واللّفظ له والطبراني ورواته ثقات إلّا عمار بن سيف وقد وثّق . قال الحافظ : وقد ورد من غير وجه ومن حديث جماعة من الصّحابة عن النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ أنّ عبد الرحمن بن عوف ـ رضي اللّه عنه ـ يدخل الجنّة حبوا لكثرة ماله ! ولا يسلم أجودها من مقال ولا يبلغ منها شيء بانفراده درجة الحسن ولقد كان ماله بالصّفة التي ذكر رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم : « نعم المال الصّالح للرّجل الصّالح » فأنّى تنقص درجاته في الآخرة أو يقصر به دون غيره من أغنياء هذه الأمّة فإنّه لم يرد هذا في حقّ غيره إنّما صحّ سبق فقراء هذه الأمّة أغنياءهم على الإطلاق واللّه أعلم .

[٢٠] وعن أسامة ـ رضي اللّه عنه ـ عن النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ قال : « قمت على باب الجنّة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء » رواه البخاري ومسلم . الجدّ : بفتح الجيم هو الحظ والغنى

الحديث الّذي بعده رقم تسعة عشر عن عبد اللّه بن أبي أوفى حديث ضعيف ، والحديث العشرون صحيح ، وهو قوله : (وعن أسامة ـ رضي اللّه عنه ـ عن النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ قال : «كنت على باب الجنّة فكان عامّة من دخلها المساكين وأصحاب الجدِّ ـ أي الحظّ والغنى والثروة ـ محبوسون ـ أي عن دخول الجنّة ، للحساب كما سبق بيانه في الحديث السابق ـ وأصحاب الجدّ محبوسون ، غير أنَّ أصحاب النّار قد أمر بهم إلى النّار وقمت على باب النّار فإذا عامّة من دخلها النّساء» رواه البخاري ومسلم .. الجدّ : بفتح الجيم هو الحظّ والغنى) .

هٰذا الحديث معجزة من معجزات الرّسول ـ عليه السّلام ـ الكثيرة التي لا تُعدّ ولا تُحصى حيث يقول قبل أن تُقام السّاعة : « كنتُ على باب الجنّة » ، فكيف هٰذا وهو في الدّنيا ؟!

ثمَّ اطّلع في النّار فرأى أكثر أهلها النِّساء ـ كما سمعتم ـ فكيف هٰذا ؟! هٰذا ممّا يستشكله كثيرٌ من النَّاس المسلمين الطيّبين فضلا عن غيرهم ، فيجب أن نعلم أنَّ الأحاديث الَّتي ترد عن النّبيِ ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ وفيها أنَّه اطّلع على الجنّة واطّلع على النّار ، فرأى نعيم الأولى وجحيم الأخرى مثلا ، ورأى أصحاب الجنّة أو طائفة من أصحاب الجنّة ورأى طائفة من أهل النّار ، فينبغي أن نعلم أنَّ ما كان من هٰذه الأخبار متعلّقاً برؤيته الجنّة ونعيمها ورؤيته النّار وجحيمها فهٰذه رؤية حقيقيّة ؛ ذلك لأنّ الجنّة والنّار مخلوقتان ، هٰذا هو الرّأي الصّحيح عند أهل السنّة والجماعة خلافاً للمعتزلة الذين يعتقدون بأنّ الجنّة والنّار لم تُخلق بعد ، وهٰذا جحدٌ لنصوصٍ كثيرةٍ جدًّا من الكتاب والسنّة ، فالقرآن مثلا يقول : ﴿وَأُزْلِفَتِ الجنّة لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء ٩٠] ، ومعنى ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ : هُيّئت وزُيِّنت وحُضِّرت لأهل الجنّة ، وليس هٰذا إلّا مبَيّناً في أحاديث الرّسول ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ الَّتي فيها أنّه رآها فعلاً ؛ رأى النّعيم ورأى الجحيم ، فما كان من هٰذا النّوع فهو رؤية حقيقيّة ، لأنَّ الجنّة والنّار مخلوقتان ، أمّا ما كان متعلّقاً بأناسٍ من السّعداء وآخرين من الأشقياء ؛ رأى الأوّلين في الجنّة ورأى الآخرين في النّار ، وبعدُ لم يدخل هؤلاء الجنّة وهؤلاء النّار فهٰذه الرّؤية رؤية تمثيليّة أي أنَّ اللّه ـ عزَّ وجلّ ـ كشف للرّسول ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ عمّا سيقع حين البعث والنّشور وبعد الفراغ من الحساب وانتهاء النَّاس إلى فريقين ؛ فريق في الجنّة وفريق في السّعير ، فرأى طائفة من هؤلاء في الجنّة وطائفة من هؤلاء في النّار ، من باب ما يسمّيه الصّوفيّة ! بالكشف وهٰذا الكشف لم يثبت إلّا للرّسول ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ أو لغيره من الأنبياء ، أمّا كشف للأولياء والصّالحين فهٰذا ما لم نجده ثابتا في التّاريخ الإسلامي الأوّل النّاصع .

أمّا فيما بعد فقد كثُرت الرّوايات جدًّا في أنَّ فلانا الوليّ وفلانا الصّوفيّ كُشف له عن كذا وكذا ، فهٰذا ممّا لم يرد عن الصّحابة والتّابعين الأوّلين إطلاقا ، أمّا الرّسول ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ فله من مثل هٰذا الكشف الشّيء الكثير والكثير جدًّا .

فممّا يتعلق بهٰذا الموضوع حديثنا هٰذا ، حيث قال ـ عليه الصّلاة والسّلام : « كنت على باب الجنّة » : وذلك في الغالب كان ليلة الإسراء والمعراج ، فوقف الرّسول ـ عليه السّلام ـ هناك ومُثّل له أهل الجنّة أو بعضهم فرآهم هناك ، وهم المساكين الفقراء ورأى النّار فوجد أكثر أهلها النِّساء فإذاً هو رأى الجنّة حقيقةً لأنَّها موجودة وكائنة وكذلك النّار ، أمّا أهل الجنّة والنّار فإنَّما مُثل له ما سينتهون إليه بعد دخول هؤلاء الجنّة وهؤلاء النّار .

وهٰذا الحديث واضح لأنَّه يلتقي مع الحديث السّابق في أنَّ الفقراء يدخلون الجنّة قبل الأغنياء بـخمسمائة عام ، أي هٰذا الحديث يُؤَيّد ذاك كأصل ، أي من حيث الأسبقيّة ، هو لا يحدّد المدّة بينما الحديث الأوّل قد حدّد المدّة ، فهنا يقول كنت على باب الجنّة ، فكان عامّة من دخلها المساكين وأصحاب الجدّ محبوسون ، يعني حين دخلها المساكين الفقراء وأخذ ، كلّ منهم مقامه في الجنّة ، كان أهل الجدّ والثّروة والغنى محبوسين للحساب والمناقشة كما سبق ذلك في الحديث الماضي .

[٢١] وعن أبي أمامة ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم : « رأيت أني دخلت الجنّة فإذا أعالي أهل الجنّة فقراء المهاجرين وذراري المؤمنين وإذا ليس فيها أحد أقل من الأغنياء والنّساء فقيل لي : أمّا الأغنياء فإنّهم على الباب يحاسبون ويمحّصون وأمّا النساء فألهاهن الأحمران الذّهب والحرير» الحديث رواه أبو الشّيخ ابن حبّان وغيره من طريق عبد اللّه بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عنه .

[٢٢] وروي عن أنس رضي اللّه عنه أنّ النّبيَ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم : « قال اللّهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة » فقالت عائشة: لم يا رسول اللّه ، قال : « إنّهم يدخلون الجنّة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، يا عائشة لا تردّي مسكينا ولو بشقّ تمرة ، يا عائشة حبّي المساكين وقرّبيهم فإنّ اللّه يقرّبك يوم القيامة » رواه التّرمذي وقال : حديث غريب .

وتقدم في صلاة الجماعة حديث ابن عبّاس عن النّبيَ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ قال : « أتاني الليلة آت من ربّي » وفي رواية : « ربي في أحسن صورة » فذكر الحديث إلى أن قال : « قال : يا محمد ، قلت : لبيّك وسعديك ، فقال : إذا صلّيت قل اللّهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون » الحديث رواه التّرمذي وحسّنه .

[٢٣] وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللّه عنه ـ قال : سمعت رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم : « يقول اللّهم أحيني مسكينا وتوفّني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين

وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة » رواه ابن ماجه إلى قوله : « المساكين »والحاكم بتمامه وقال : صحيح الإسناد .

ورواه أبو الشيخ والبيهقي عن عطاء بن أبي رباح سمع أبا سعيد يقول : يا أيّها النّاس لا تحملنّكم العسرة على طلب الرّزق من غير حلّه فإنّي سمعت رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ يقول : « اللّهم توفني فقيرا ولا توفّني غنيّا واحشرني في زمرة المساكين فإنّ أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدّنيا وعذاب الآخرة »

قال أبو الشيخ : زاد فيه غير أبي زرعة عن سليمان بن عبد الرحمن : « ولا تحشرني في زمرة الأغنياء » .

هنا بعد هٰذا الحديث ثلاثة أحاديث ، الحديثان الواحد وعشرون والثاني والعشرون ضعيفان ، أمّا الحديث الثالث والعشرون وهو قوله : (عن أبي سعيد ..) فهو صحيح .

(وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللّه عنه ـ قال : سمعت رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ يقول : « اللّهم أحيني مسكينا وتوفني مسكينا ، واحشرني في زمرة المساكين ») .

هذا الحديث في اصطلاح المحدّثين يقال فيه : صحيح لغيره ، أي إنّه ليس له إسناد صحيح أو حسن لذاته ، و إنّما من مجموع طرقه تَقوّى وبلغ مرتبة الصحّة ، أقول هٰذا لأنَّ المصنف لمَّا أورد الحديث أورده بالتتمة الآتية وهي : (« وإنَّ أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدّنيا وعذاب الآخرة » ـ قال : ـ رواه بن ماجه إلى قوله : « المساكين » والحاكم بتمامه وقال : صحيح الإسناد ..) إلى آخر التخريج ، فالقدر الذي رواه بن ماجه وهو دعاء الرّسول ـ عليه السّلام ـ بقوله : « اللّهم أحيني مسكينا وتوفني مسكينا ، واحشرني في زمرة المساكين » هٰذا المقدار من

الحديث هو صحيح لغيره ، أمّا تمامه وهو : « إنَّ أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدّنيا وعذاب الآخرة » فهٰذا لم نجد له شاهدا يقوّيه فبقي على ضعفه لاسيما وأنّ ضعفه شديد وشديد جدًّا ، فهٰذه الزّيادة ذكرناها لأنّ المصنف أتبعها للشّطر الأوّل من الحديث وتلوناها للتّفريق بين الشّطر الأوّل من الحديث حيث أنّه صحيح لغيره ، والشّطر الثاني والأخير من الحديث حيث أنَّه ضعيف ليس له شاهد يقويه ، فليكن هٰذا التفصيل منكم على ذكر حتَّى لا تتقوّلوا على النّبيَ ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ ما لم يقل ، للوعيد الشّديد الوارد في ذلك كقوله ـ عليه السّلام : « من كذب علي متعمّدا فليتبوء مقعده من النّار »[٩] وفي اللفظ الآخر : « من تقوّل عليّ ما لم أقل فليتبوء مقعده من النّار »[١٠] ولا يقل أحد أنَّ هٰذا الَّذي يتساهل في رواية الحديث ، هو لم يتقوّل على النّبيَ لأنَّ الَّذي تقوّل إنَّما هو الكذّاب الأوّل ، لا يقل أحد هٰذا لأنّ هٰذا الكـلام أوّلا : فيه تبريرٌ التّساهل في رواية الأحاديث الضّعيفة والموضوعة ، وهٰذا لا يجوز .

وثانيا : لأنَّ النّبيَ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ قد قال في الحديث الصحيح : « من حدّث عنّي بحديث وهو يُرى أنَّه كذب فهو أحد الكذّابين »[١١] أي من حدّث عنّي بحديث وهٰذا الحديث يُرى أي يُظنّ عند أهل العلم أنَّه كذب فهو أي المحدّث بهٰذا الحديث ـ وليس المفتري الأول ـ هٰذا المحدّث بهٰذا الحديث أحد الكذّابين .

الكذّاب الأوّل : هو الَّذي تقوّله واختلقه من عند نفسه ، والكذّاب الآخر هو هٰذا الَّذي يُذيع ويُشيع الأحاديث الضّعيفة والموضوعة بين المسلمين ، فهٰذا وعيد شديد لمن يروي الأحاديث دون أن يتثبّت من صحّتها ، ولذلك فنحن حذرين جدًّا من أن نروي حديثا ونحدّث به النَّاس

---

[٩] رواه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة رضي اللّه عنه ومسلم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه ، والحديث متواتر .

[١٠] رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد .

[١١] رواه مسلم في المقدمة من حديث المغيرة بن شعبة رضي اللّه عنه .

ولم يثبت على طريقة علماء الحديث نسبته إلى النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ ومن أجل هٰذا الوعيد الشّديد نضطرّ أحيانا إلى أن نتكلّم ببعض البيانات المتعلّقة بمصطلح علم الحديث ، لتكونوا على بيّنة من الأمر ، وعلى حذر من أن تتحدّثوا بحديث لم يثبت عندكم صحّته على طريقة علماء الحديث ، فإذن هٰذه الجملة الثّابتة هي التي نحدّثكم بها ونحثّكم على التّأثر بما فيها من حضّ الرّسول ـ عليه السّلام ـ النّاس على التّمسكن ، وهٰذا التّمسكن له معنيان :

الأوّل : التّمسكن بالخُلق .

والثّاني: التّمسكن بالمادّة .

فقوله ـ عليه الصّلاة والسّلام : « اللّهم أحيني مسكينا وتوفني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين » يحتمل معنًى من المعنين السّابقين .

« اللّهم أحيني مسكينا » يعني متواضعا لا متكبّرًا ولا جبّارًا ، ويحتمل المعنى الثّاني : « اللّهم أحيني مسكينا » يعني فقيراً ؛ لأنّ الغنى والثّروة مدعاة للفجور والطّغيان ، كما جاء ذلك في القرآن الكريم :﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى* أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ [العلق:٦-٧] ، بمجرّد أن يرى نفسه أنّه استغنى رفع رأسه وتكبّر ، بينما كنت تراه من قبلُ يمشي على الأرض وئيداً وبصره مرمي إلى الأرض ، فحينما أصبح غنيّا طغى وتجبّر وأخذ يهزأ بمن كان بالأمس القريب مثله فقراً وضعفا ومسكنةً .

فالحديث إذن ، نستطيع أن نقول أنّه يحمل المعنيين ، « اللّهم أحيني مسكينا » يعني متواضعا لا جبّارا ، و فقيراً خشية أن يطغى بسبب ثروته وماله ، ومن هنا نعلم السّر في أنّ الرّسول ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ حينما عُرِضَ عليه أن يُقلب الجبل ذهبا أو يختار أن يكون نبيّا عبدًا رسولاً فاختار أن يظلّ عبدا نبيّا رسولً ا، على أن يكون ملكا غنيّا ثريّا .

خلاصة هٰذه الأحاديث كلها أنّ الأسلم للإنسان أن يكون فقيرا ، لكن الحقيقة التّي لابد من القول بها أنَّ حياة الإنسان فقيرا تحتاج إلى جهاد وحياة الإنسان غنيّا تحتاج إلى جهاد .

فالقضيّة ليست سهلة فالذي يريد أن يعيش فقيرا يجب أن يكون قانعا ، أن يكون راضيا بما قسم اللّه له ، ولا تكون أعينه تمتد لأموال النَّاس ، ونحن نرى اليوم أكثر النَّاس من هؤلاء الذين ليس عندهم ثروة وغنى يحسدون النَّاس على ما أعطاهم اللّه من فضله ، هٰذه ظاهرة بشعة جدًّا في العصر الحاضر ، ولذلك هٰذا يدلّ على أنَّ حياة الإنسان فقيرا ليست بالأمر السّهل ، وبالعكس أيضا نرى الثّروة هذه التي يجمعها الكثير من النَّاس تعود وبالا وبلاء عليهم في الدّنيا قبل الآخرة ، إذن مجمع الأمر أنّك إن كنت فقيرا فاصبر على فقرك واتق اللّه ـ عزَّ وجلّ ـ فيه ، وإن كنت غنيّا فاعرف ما فرض اللّه عليك في مالك و تروّى في طريقة جمعه وطريقة إنفاقه ، وإلّا لن ينفعك هٰذا المال بل كان وبالا عليك .

[٢٤] وعن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ مرفوعا : « أحبّوا الفقراء وجالسوهم وأحبّ العرب من قلبك وليردّك عن النّاس ما تعلم من نفسك » رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

[٢٥] وعن عائذ بن عمرو أنّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : ما أخذت سيوف اللّه من عنق عدوّ اللّه مأخذها ، فقال أبو بكر ـ رضي اللّه عنه ـ أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟! فأتى النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ فأخبره فقال : « يا أبا بكر لعلّك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربّك » فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا يغفر اللّه لك يا أخي . رواه مسلم وغيره .

الحديث الرابع والعشرون ضعيف أيضا والخامس والعشرون صحيح ، وهو قوله : (وعن عائذ بن عمرو أنَّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : ما أخذت سيوف اللّه من عنق عدوّ اللّه مأخذها ، فقال أبو بكر ـ رضي اللّه عنه : أتقولون هٰذا لشيخ قريشٍ وسيّدهم ؟ فأتى النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ فأخبره فقال ـ عليه الصّلاة والسّلام : « يا أبا بكر لعلّك أغضبتهم ؟! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربّك ! » ، فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه !! أغضبتكم ؟ قالوا : لا يغفر اللّه لك يا أخي . رواه مسلم وغيره) .

هٰذا الحديث يبيّن أنّ المسلم يجبُ أن يكون حذرا في مصاحبته للفقراء الصّالحين الصّادقين فلا يقل كلمة قد يجرح بها شعورهم !

فهٰذا أبو بكر الصّديق يعتب عليهم بعض العتب ، حينما جاء إلى هؤلاء الفقراء الذين سُمّوا وغيرهم ممن لم يسمّوا ؛ بلال وسلمان وصهيب ، جاء إليهم أبو سفيان وهو سيّد قريش في ما

قبل إسلامه فقالوا له مُشْعِرينه بما كان عليه إلى عهد قريب من العِداء الشّديد للدّعوة ولرسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ ومن مناصرته المشركين من قومه على النّبيّ وصحبه ، قالوا له ـ أي لأبي سفيان : « ما أخذت سيوف اللّه من عنق عدو اللّه مأخذها » يعني ليس بعد ، يجب أن يضَّل السّيف مشتغلا في أعناق الكفّار حتى يُستأصلوا عن بكرة أبيهم .

ومنهم هؤلاء الكفّار الذين عناهم هؤلاء الصّحابة الأخيار من الفقراء ؟ هم طبعا قبيلة قريش التي عادت رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم ـ فسمع أبو بكر هٰذه الكلمة التي وجهها هؤلاء الفقراء الصّالحون إلى أبي سفيان كبير قريش ، فقال أبو بكر ـ رضي اللّه عنه ـ أي للفقراء : « أتقولون هٰذا لشيخ قريش وسيّدهم ؟! » يقول هٰذا مستنكرا عليهم ، فأتى النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ فأخبره ... أبو بكر كأنّه ألقي في نفسه : لعلّه أساء إلى إخوته من المهاجرين والضّعفاء المساكين ، ولذلك سارع إلى النّبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ فحدّثه بما جرى من قول الفقراء لأبي سفيان ومن قوله هو ـ أبو بكر ـ للفقراء ، فعاد الرّسول ـ عليه السّلام ـ محذرا لأبي بكر بقوله : « يا أبا بكر لعلّك أغضبتهم ؟! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربّك ! » فأتاهم أبو بكر ـ وهٰذا من كماله - رضي اللّه عنه ـ حيث سارع بالاعتذار لمن أساء إليهم بكلامه دون أن يقصد جرحهم والإساءة إليهم ، فقال : « يا إخوتاه أغضبتكم؟ » قالوا : « لا ! » .

الجماعة طيّبين ، يعرفون أسبقية أبا بكر في الهجرة وصحبته مع الرّسول اللّه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ فيها وفيما بعدها ، فلا يخطر في بالهم أنَّ هٰذا الصّحابي الجّليل يُريد إغضابهم وإزعاجهم بما وجه إليهم من كلام ، فقالوا : « لا ! يغفر اللّه لكَ يا أخي ».

في هٰذا الحديث بالإضافة إلى ما هو مقصود بالحديث مباشرة وهو أنَّه يجب على كل مسلم أن يعرف قدر المسلم الصّادق الفقي ر، فلا يتكلّم بكلام قد يُزعجه أو يغضبه ، لأنّ لهٰذا الفقير الصّادق له منزله عند اللّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ ـ لا يكون فيها سائر النّاس كما قال ـ عليه الصّلاة

والسّلام ـ في الحديث الصّحيح : « لو أقسم على اللّه لأبره »[١٢] وقال في حديث آخر: «إنَّما تنصرون وترزقون بضعفائكم ، بدعائهم وإخلاصهم »[١٣] فهؤلاء إذن ، يجب أن نراعي شعورهم ولا نأتي بشيء ممّا يتأذّون به ، طبعا مثل هٰذا الحديث قد يحمله بعضٌ أو كثيرٌ من النّاس على محمل غير صحيح ، مثل هٰذه الأحاديث يحملها الصّوفية على ناسٍ لا يصلح أن يُقال : إنّهم من هؤلاء الفقراء ، لأنَّهم يحملون هٰذه الأحاديث وأمثالها على أناسٍ ممّن يسمونهم بالبهاليل والمجاذيب !! يظنّون أنَّ هؤلاء هم أهل الفقر ، وأهل الصّدق والإخلاص وبهم نُنْصر ونُرزق ! لا! ومثالنا وحجّتنا في ذلك هم هؤلاء الفقراء الَّذين حرص رسول ـ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ـ على أبي بكر أن لا يؤذيهم ، فمن هم؟ هم : سلمان وصهيب وبلال وأمثالهم من أهل الصّفة ومن النّاحية الإيمانية بأعلى الدّرجات وأسماها ، فالبهاليل والمجاذيب عند كثير من النّاس ـ حتّى اليوم ـ هم في أوضاع مستنكرة كلّ الاستنكار في ظاهر أوضاعهم لكن يزعمون أنهم في باطنهم في أعلى المقامات ، فهٰذا يجب أن نعلم أنَّه ليس من الإسلام في شيء لا من قريب ولا من بعيد ، بل هٰذا من جملة ما انحرف فيه المسلمون في فهم الصّلاح وفي فهم الولاية التي تُقرب صاحبها عند اللّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ فإنَّ اللّه ـ عزَّ وجلّ ـ قد أثنى على الأولياء ثناء بالغًا وبشّرهم بشارة عُظمى في الآية المشهورة : ﴿ ألا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّه لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ *الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[يونس٦٣] ، فالأولياء إذن هم الذين تجمّعت فيهم هاتان الصفتان : الإيمان والتّقوى ، وليس من التّقوى في شيء مطلقًا أن يمشي مسلمٌ عريانا في الطّرقات [باسم : مذلوك! مأخوذ ضايع ، ولا أن ينهب أموال النّاس و يدخل دكاكينهم ويكون شأنه شأن السّوائب البهائم التي كانت لها منزلة عند المشركين ، حيث تُطلق فلا يعترض سبيلها إنسان

---

[١٢] رواه مسلم ــ وغيره ــ من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

[١٣] رواه النسائي من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي اللّه عنه وهو في صحيح الجامع [٤١٥٣].

أينما دخلت ، في أي بستان أكلت فلا بأس عليها ، لأنّ هٰذه الحيوانات أطلقت للأصنام ؛ الآلهة زعموا ! فمن نحو هٰذا بعض المجاذيب ـ أنا رأيت بعضهم ـ وأنتم فيما يبدو ما نلتم هٰذا الشّرف لأنه قُضي عليهم فيما يبدو أنَّ النّاس انتبهوا إلى أنّ كل هٰذا تزوير وتضليل ، أمّا أنا شخصيّا فرأيت شخصا منهم كان يمشي في الطرقات ـ حتّى هنا في الشهداء ـ يمشي يلبس (قمباز) مفتوح ـ ليس جلابية ـ مفتوح ، فإذا انفرج هكذا ظهر كلّ شيء ! فهٰذا لا بأس !! لأنّه مأخوذ ، فكان يدخل الدّكان ، أحسن دكّان فيها فاكهة يأخذها وكأنّه جبّار تسلط على صاحب الدّكان ، فلا يستطيع أن يتكلّم بشيء من الكلام إطلاقا ، لماذا ؟ لأنّه قائم بأذهان جماهير النّاس أنَّ هٰذا إزعاجه وإغضابه هو إغضاب للربّ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ !! فهل هؤلاء الذين حذّر الرّسول ـ عليه السّلام ـ أبا بكر من أن يُغضبهم وأمثالهم ؟ لا وربّ الكعبة ، وإنَّما هم المؤمنون الصّادقون ، المؤمنون المتّقون ، وكفى معرفةً بمثل : بلال وسلمان وصهيب وجهادهم السّابق في سبيل الدّعوة ونشرها ومحاربة الكفّار الواقفين في سبيلها .

ولذلك فنحن يجب أن نعرف الإسلام بمفاهيمه الصّحيحة ، فإذا قرأنا مثل هٰذا الحديث وفهمنا منه أنَّه لا يجوز للمسلم أن يُغضب فقيرا فيجب أن نفهم من هٰذا الفقير ؟ هو المؤمن هو المتقي ، ليس هٰذا الفقير ـ مثلا ـ الشّحاذ الذي اتخذ الشّحاذة والتّسول مهنة ، وليس هٰذا الفقير هو الذي قال ربنا ـ عزَّ وجلّ ـ فيه : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى ١٠] وإنَّما الفقير العادي يعني هو الَّذي اضطرّ اضطرارا للسّؤال والشّحاذة ، أمّا الفقير الَّذي اتّخذ الشّحاذة مهنة وصار عنده كسب المال بهٰذه الطّريقة أحسن من مهن كثيرة من أصحاب المهن ، فهؤلاء يجب نهرهم ويجب زجرهم ، ليس هؤلاء هم المقصودون بقوله تعالى : ﴿فَلا تَنْهَرْ ﴾ .

وهكذا يجب أن نفهم الحقائق كما جاءت في الشّريعة الإسلامية لا مقلوبة ؛ على خلاف ما في الشرع الكريم .

إذن الفقراء المؤمنون الصّادقون فهم الَّذين يجب أن نعرف قدرهم وأن نحترمهم ولا يغرّنا منظرهم وفقرهم فنتكبّر عليهم ، هٰذا ليس من خلق الإسلام إطلاقا فلنكن على ذِكر من هٰذا الأمر البيّن الواضح إن شاء اللّه .